في كل ليلة حكاية

١١

رفقاء في الجنة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

رحلة الهداية !!

... بعد تناول وجبة الغداء.. استأذنت (سعاد) أمها بأن تذهب إلى الحيّ الثاني لزيارة صديقتها (اعتماد) فهي مريضة منذ ثلاثة أيام..

ووافقت (أم سعيد) على طلب ابنتها مع اقتراح أن تصحب معها ابنة خالتها (ابتهال) وذلك بهدف التعرّف و...

وبالفعل ذهبت (سعاد) مع (ابتهال) ، فزارتا المريضة (اعتماد) والتقتا هناك مع عدد من الصديقات القديمات.. ودار حديث شيّق ، إضافة إلى ذكريات أيام الدراسة.. وأيام الطفولة ونحو ذلك...

وبعد أذان المغرب دخلت (سعاد) مع ابنة خالتها إلى البيت.. فقالت (أم أحمد) : ما لَكِ

يا سعاد ؟ لعل أحداً أغضبك !؟

أجابت (سعاد) : لا يا خالتي ، لكن ونحن نعود صديقتنا (اعتماد) تحدثت (سمر) بلهجة عنيفة يتخلّلها الكلمات والجمل القاسية... عن الذي يعصون الله في بعض الأمور... ، وبالتالي حاوَلتْ إغلاق كل منافذ التوبة والاستغفار.. وكأن الأحكام عندها قطعيّة فإما أن تكون مؤمناً ، وعندئذٍ لا يجوز أن تسقط في الأخطاء والذنوب.. ، وأن تكون منحرفاً ، وعندئذٍ لا مجال لعودتك إلى منهج الاستقامة ، ولا فائدة ترجى من أي عملٍ خيري ونحو ذلك !!

.. واستنكرت (أم أحمد) هذا الأسلوب المتشنّج ، ثم قالت :

لقد ارتكب كثير من صحابة رسول الله ﷺ الأخطاء بل إن بعضهم أُقيم عليه حدٌّ من الحدود ،

كحدّ شرب الخمر ، وحدّ السرقة و...

بل إن عمالقة الصحابة كانوا في العهد الجاهلي عُصاة وخطّائين وما إلى هنالك...

وطلبت (سعاد) من خالتها (أم أحمد) أن تحدّثها بمثال من حياة الصحابة الكرام ، حيث يحمل الدليل الواضح على الانقلاب الذي أحدثه الإسلام في نفوس كثير من أهل الجاهلية .

ووافقت (أم أحمد) على ذلك ، شريطة أن يلتّم شمل العائلة ، وبعد أن تهيىء (ابتهال وسعاد) قليلاً من الشراب البارد مع بعض أنواع الحلويات الدمشقية !!

أجل يا خالتي ـ قالتها (سعاد) ـ وهذه أسهل قضية... فاقتراحاتك أوامر و...

وانطلقت (ابتهال) إلى الصالون تنادي أخواتها وأولاد خالتها.. ، بينما كانت (سعاد) تقوم

بتحضير طلبات خالتها (أم أحمد) .

وكان اقتراح (سعيد) أن يجلسوا في الهواء الطّلق تحت ظلال الأشجار الوارفة... وحيث النّسمات الرقيقة العليلة... وحيث أضواء القمر المتداخلة مع أوراق الشجر و...

وما إن مضى قرابة نصف ساعة حتى كان الجميع مجتمعين تحت شجرة التوت الكبيرة... بينما راحت (سميرة) تقدّم الحلويات للجالسين ، وتتبعها (ابتهال) وهي تقدّم الشراب الحلو اللذيذ...

وبعد قليل وقف (سامي) وقال : إذن ما هي حكاية هذه الليلة يا خالتي ؟

ابتسمت (أم أحمد) ثم قالت : والآن تبتدي الحكاية :

في العهد الجاهلي ، ونتيجة ابتعاد الناس عن

ينابيع الهداية والنور ، لأنه قد مضى مئات السّنوات على آخر نبي من الأنبياء وهو عيسى عليه السلام...

لذلك عاش الناس فترة التخبّط والضياع ، واخترعوا مسألة عبادة الأصنام والأوثان... بل لقد بالغوا في ذلك إلى حدٍ عجيب .

فأهل مكة مثلاً اتخذوا لأنفسهم صنماً عظيماً أطلقوا عليه (العُزى) .

وأهل المدينة المنورة عظموا صنماً أطلقوا عليه (مناة) .

بينما بالغ أهل الطائف بتقديس صنمهم (اللات) وهكذا في سائر أماكن الجزيرة العربية .

بل وضعوا أناساً متفّرغين لخدمة تلك الأصنام ، وكان من خدمة (منى) رجلاً يدعى (عمرو بن الجموح بن زيد الخزرجي) .

وبالغ (عمرو) هذا فاتخذ في داره صنماً آخر ، واشتراه من نجّار شاطر ، فكان الصنم من الخشب النفيس .

لكن عندما شاء الله للناس أن يعيشوا في ظلال خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، أرسل إليهم النور كله وهو رسول الله ، فمن آمن معه نال الفوزين : في الدنيا والآخرة ، ومن أعرض عن المنهج واتبع الطرق الملتوية ، فسيصير حاله إلى الشقاء لا محالة ، وفي الآخرة عذاب أليم...

وكان من الذين آمنوا بدعوة رسول الله ﷺ أولاد (عمرو بن الجموح) وهم : معاذ ومعوّذ وخلاّد وعبد الرحمن .

وكذلك آمنت زوجه (هند بنت عمرو بن حرام) مع أخيها (عبد الله) .

لكن كيف ينتقل سادن الأصنام إلى نور الإسلام ؟!

اتفق (معاذ بن عمرو) مع أصدقائه الشباب على تحطيم الأصنام والسّخرية منها ومن أصحابها !!

وذات ليلة رأى (عمرو بن الجموح) ولده (معاذاً) فقال له : أخبرني ما سمعت عن الرجل المكّي الذي جاء بالدعوة الجديدة..

وبالفعل راح (معاذ) يقرأ سورة الفاتحة ، بينما كان (عمرو) يصغي بكل فرحٍ وما إلى هنالك ، ثم قال لولده : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، وهل كل كلامه مثل هذا ؟

فقال (عمرو) ألا تأخذوني إلى (مصعب بن عمير) لأسمع منه كلام القرآن سبحانه وتعالى...

فاصطحبه (معاذ) إلى حيث يلقي (مصعب) رضي الله عنه بعض الأمور التي تتعلق بفهم القرآن الكريم .

ولما أنصتوا إلى كلام الله بصوت (مصعب) وهو يقرأ من أوائل سورة يوسف عليه السلام :

﴿ الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ١-٣] .

شَعَرَ (عمرو) أن شيئاً هادئاً يتسلّل إلى أعماق نفسه ، فقال : عليّ مشورة.. وسأعود إليكم بعد قليل .

وانطلق إلى بيته ودخل غرفة صنمه.. ولكن يا للهول : أين صنمي الذي أعبده وأدعوه في كل الحوائج ؟!

وراح يفتّش كالمجنون.. حتى عثر على صنمه في إحدى الحفر القذرة ، منكّساً على رأسه !

فحمله وعاد إلى غرفته ، فغسلّه وطيّبه.. وراح يتمتم : وأيم الله ، لو أني أعلم من صنع بك هذا لأخزيّنه..

وفي اليوم الثاني تسلّل ابنه (معاذ) مع أصدقائه إلى غرفة الصنم.. فحملوه وألقوه في مكان وسخ !

وعاد (مصعب) إلى التفتيش عنه..

وفي الليلة الثالثة ، علّق سيفه على رقبته وقال له : إني والله ما أعلم من يفعل بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع فهذا السيف معك !!

وفي المساء جاء الفتية إلى الصنم ، فحملوه وألقوه خارج البيت وربطوا به كلباً ميتاً ، وأخذوا السيف وانطلقوا مسرعين...

وجاء (مصعب) فرأى ماذا جرى للصنم ،

فراح يسبّ الصنم ومن كان يعبده.. ثم أعلن إسلامه وهو يقول :

تـــالله لـــو كنـــت إلهـــاً لـــم تكـــن
أنت وكلبٌ وسط بئر في قَرَن[1]
أفٌّ لملقـــــاك إلهـــــاً مستـــــدن[2]
الآن فتشنـاك عـن سـوء الغَبَـنْ[3]
الحمـــــد لله العلـــــي ذي المنـــــن
الـواهـب الـرزاق ديّـان الـدّيـن
هـو الـذي أنقـذنـي مـن قبـل أن
أكـون فـي ظلمـة قبـر مـرتهـن

---

(١) أي : في حبل واحد .
(٢) أي : ذليل مستعبد .
(٣) أي : الغباوة والسّفه .

« قد ترافقوا في الجنة جميعاً »!!

تابعت (أم أحمد) حكايتها الرائعة :

وانقلبت حياة (عمرو بن الجموح) رضي الله عنه رأساً على عقب ، لكنه أراد أن يكفّر عن أخطائه ، فعاهد الله سبحانه وتعالى على الجهاد في سبيله حتى آخر رمق .

وكانت غزوة أحد ، وحاول أولاده منعه الاشتراك في الغزوة ، وذلك بسبب عرجه الشديد..

وراح يردّد : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردّني إلى أهلي خائباً .

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال : والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة !!

فسمح له الرسول ﷺ بالمشاركة في الغزوة...

ويشاء الله له الشهادة في سبيله ، وبعد قليل سقط ابنه (خلاداً) وسقط أيضاً مولاه (أبو أيمن) ، وكذلك أخو زوجته (عبد الله بن حرام) رضي الله عنهم أجمعين .

وفي آخر المعركة... أمر رسول الله بحفر مكان ليُدفن فيها الشهداء.. ووضع (عمرو بن الجموح) مع (عبد الله بن حرام) في حفرة واحدة ، وذلك بناءً على طلب رسول الله عندما قال : « ادفنوا هذين المتحابّين في الدنيا في قبر واحد » .

ووقف رسول الله على القبر وقال : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » .

ثم قال : « نعم الرجل عمرو بن الجموح.. والذي نفسي بيده ، إن منكم لمن لو أقسم على الله

لأبّره ، منهم عمرو بن الجموح ، لقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته » .

وعندما أقبلت زوجته (هند) وسألت رسول الله عن شهداء المعركة ، قال عليه الصلاة والسلام : « يا هند ، قد ترافقوا في الجنة جميعاً ، عمرو بن الجموح ، وابنك خلّاد وأخوك عبد الله » .

قالت : يا رسول الله ، ادع الله عسى أن يجعلني معهم...

وهكذا.. التفتت (أم أحمد) إلى (سعاد) وقالت :

فهذا الصحابي الجليل (عمرو بن الجموح) عاش حياة الانفلات في الجاهلية.. وعبد الصنم و...

لكن الله أراد له الهداية ، فصار شيئاً آخر ، صار

بطلاً مجاهداً ، وكانت النتيجة أن نال الشهادة في سبيل الله تعالى :

وتلا أحمد قوله تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين .